الفصل الثانى

الفكرة الصهيونية فى الثقافة الأوروبية

تلخص بربارة تخمان دراستها عن الارتباط الصهيونى الإنجليزى المبكر فى ختام تحليلها المتعمق للميول السامية لدى البيوريتانيين وكرومويل بقولها :

لقد كانت البوادرُ الأولى التى دفعت إنجلترا البيوريتانية للاهتمام بإحياء إسرائيل دينيةً فى أصلها . بدأت سيطرة العهد القديم على عقل وإيمان الحزب الذى كان فى السلطة فى أواسط القرن السابع عشر ، ولكن الدين وحده لم يكن كافيًا ؛ إذ إن شعور البيوريتانيين الغامض بالتآخى الروحى مع أبناء إسرائيل وآرائهم المثالية فى التسامح ، وآمالهم الباطنية فى التعجيل بالعصر الألفى السعيد ، ما كانت لتؤدى إلى نتائج عملية لو لم تتدخل المنفعة السياسية . فقد كان الحافز لاهتمام كرومويل باقتراح مناسح هو نفسه الذى جعل لويد جورج يهتم باقتراح حاييم وايزمان بعد عشرة أجيال . وهو اعتقاد الرجلين بأن اليهود قادرون على تقديم العون فى وقت الحرب . ومنذ عهد كرومويل أصبح أى اهتمام بريطانى بفلسطين يعتمد على دافعين متلازمين : دافع الربح ؛ تجاريًا كان أو استعماريًا أو عسكريًا ، والدافع الدينى الموروث من الكتاب المقدس ، ولم يكن يحدث شىء حين يغيب أى من هذين الدافعين ، كما حدث عندما فتر المناخ الدينى فى القرن الثامن عشر[١] .

obeikandi.com

التاريخ والجغرافيا: اثنان من مخترعات القرن الثامن عشر

عندما انهار الكومنولث البيوريتانى وتولى آل ستيوارت الحكم عام ١٦٦٠م، لم يأفل نجم «الكتاب المقدس» كما تؤكد تخمان[٢]، كما أن القرن الثامن عشر لم يكن «عصرًا كلاسيكيًا، منظمًا، مهذبًا، عقلانيًا بعيدًا عن الروح العبرية». إن هذه النظرة للحقبة التى أعقبت عودة الملكية إلى إنجلترا سطحية جدًا. ويظهر فرانز كوبلر فهمًا أكثر عمقًا حين يكتب قائلاً:

«إن حركتى التنوير الفلسفى و«الربوبية» إبان مجدهما لم يضعفا حركة الإحياء الدينى اليهودية، بل أثرياها عن طريق مزجها بحماسة واقعية مفيدة. وعلى ذلك أخذت الفكرة الأساسية للإحياء الدينى تنتقل من جيل لآخر، مع إجراء تعديلات كبيرة عليها، إلى أن أحدثت الثورة الفرنسية تغييرًا جذريًا مفاجئًا[٣].

والواقع أن الأفكار الصهيونية التى وضعها غير اليهود خلال القرنين السادس عشر، والتى ظهرت بشكل أكثر صراحة فى إنجلترا البيوريتانية فى القرن السابع عشر، اشتدت شوكتها فى عهد ما يسمى بعصر العقل، على الرغم من المعارضة الرسمية لها.

دور الأدب فى التعريف بالعالم العبرى

لقد أقام الأدب حيث ذهبت العقيدة الدينية، فقد أصبحت الروايات المسرحية التى كانت تتسم بالعنف والجنس أكثر هدوءًا وبساطة، وأخذت سيطرة العنصر الدينى تبدو واضحة فى جو المسرح[٤]. وصارت أفكار العهد القديم أكثر مصادر الإلهام لفنانى وشعراء العهد الجديد، لا فى إنجلترا فحسب، بل فى القارة الأوروبية كذلك، وأصبح اليهود المعاصرون أنفسهم يضفون على أنفسهم شخصيات فريدة تعامل بجدية أكبر وتفهم أعمق، وهكذا ظهرت معادلة فلسطين اليهودية بكل مضامينها الصهيونية.

وكانت قصيدة ملتون الشهيرة «الفردوس المستعاد» قد تحدثت عن عودة إسرائيل:

لعل الله الذى يعرف الوقت المناسب جيدًا سيذكر إبراهيم، وسيعيدهم
نادمين وصادقين، وسيشق لهم البحر وهم عائدون مسرعين إلى

وطنهم كما شق البحر الأحمر ونهر الأردن عندما عاد آباؤهم للأرض الموعودة. إننى أتركهم لعنايته وللزمن الذى يختاره[٥].

لقد قرر ملتون بشكل واضح أن إسرائيل ستعاد إلى فلسطين لا عن طريق الفتح، بل بتدخل قوة خارقة. وقصيدة ملتون «عقدة النصرانية» (التى لم تنشر حتى عام ١٨٢٥م) تظهر إيمانه الراسخ بالعصر الألفى السعيد وبإحياء إسرائيل.

وتعد «سامسون أجونستس» المأخوذة مباشرة من كتاب القضاة فى العهد القديم ظاهرة جديدة، فهى صورة موضوعية لليهودى، وهى الصورة التى كررها اللورد بايرون وكولردج فى القرن التاسع عشر وچيمس چويس فى القرن العشرين. ولم يكن بمقدور ملتون كشاعر پيوريتانى فى بيئة پيوريتانية إلا أن يختار هذا الموضوع ويعالجه كما فعل؛ إذ لم يكن يجد مشقة فى خلق شخصياته التى كانت ماثلة فى الخيال الشعبى. فشخصيات العهد القديم كموسى ويوشع وداود وروث ويعقوب وإستر أصبحت أسماء شائعة. ومن السهل ملاحظة تفضيل أنبياء اليهود على أبطال اليونان القدامى لدى قراءة مقتطفات من الأدب الأوروبى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وبعد جيل واحد فقط، جدد ألكسندر بوب هذه الفكرة عن المملكة اليهودية المستعادة فى فلسطين فى قصيدته «المسيح». وكان تفسيره للنصوص التوراتية يستند إلى تعليلات لاهوتية لشخص المسيح، ولكنه ضمنها أوصافًا حية لنهضة إسرائيل كشعب وأمر واقع. وقد تصور بوب قدسه الجديدة مأهولة باليهود العائدين.

واستعملت الصور الصهيونية الرفيعة عن القدس اليهودية الجديدة فى ترانيم القرن الثامن عشر، وأبرزها تلك التى كتبها تشارلس وزلى. وقرب نهاية القرن الثامن عشر خاطب ويليام بليك اليهود بهذه الأبيات:

استيقظى يا إنجلترا، استيقظى استيقظى، فأختك
القدس تناديك. لماذا ينام هؤلاء المؤمنون كالأموات
ويغلقونها عن جدرانك القديمة![٦]

أما فى القارة الأوروبية، فقد ظهرت موضوعات عبرية توراتية فى الأدب الفرنسى، وكان العهد القديم مصدرًا لموضوعات چين باپتيست راسين الفرنسى الكلاسيكى

(الخبير فى أدب الرومان واليونان) وإلهامه الشعرى، ولا تزال مأساته (إستر) التى كتبها عام ١٦٨٩م تعد واحدة من روائع الدراما الفرنسية.

ويصور معاصره جاك بناين بوسيه فى كتابه «دراسة فى التاريخ العالمى ـ Discours Sur l'Histoire Universelle» عام (١٦٨١م) إسرائيل على أنها الأمة التى تعلو كل الأمم، وأنها حجر الأساس فى تاريخ العالم.

أما الأدب الألمانى، فمع أنه كان لا يزال فى محل تكوينه خلال القرن السابع عشر إلا أنه كانت تبدو عليه مسحة عبرية صهيونية. وكان هانس ساشس قد طرق فى القرن السابق فى كتابيه «Der Winterich Herodes» عام (١٥٥٢م)، و«Tragedia Koenig Sauls» عام (١٥٥٧م) موضوعات من التاريخ اليهودى. وتناولت كريستان وايز نفس الأفكار فى كتاباتها «Der Verfolgte David» عام (١٦٨٣م)، و «Nebukadneza» عام (١٦٨٣م)، و«Kain Und Abel» عام (١٧٠٣م). وفى سويسرا، اختار يوحنا چاكوب بودمر لشعره شخصيات إبراهيم ونوح ويوسف وسليمان.

وكان للشاعر الألمانى جوتهولد إبهريم لسنج المنزلة العليا بين أقرانه فى عصر التنوير الفلسفى، وروايته «ناثان الحكيم ـ Nathan Der Weise» عام (١٧٧٩م) تنتقل بالقارئ مباشرة إلى القدس موطن بطل الرواية اليهودى ناثان. وكانت معالجة الكاتب لهذه الشخصية فريدة وجديدة. وتصور الرواية التى تتناول الحملة الصليبية الثالثة فى القرن الثانى عشر صلاح الدين على أنه الحاكم المسلم القاسى التافه الذى احتل القدس. وفى الرواية يظهر فارس الهيكل المسيحى المتعصب أدنى منزلة من ناثان اليهودى الحكيم الذى يطلب منه المسلم والمسيحى النصح والمشورة. ومع أن لسنج كتب روايته لإثارة روح التسامح، إلا أن اختياره القدس مسرحًا لها وتحيزه لـ (ناثان) يعكسان مدى التأثير العبرى الصهيونى الذى كان سائدًا فى ألمانيا منذ حركة الإصلاح الدينى.

وتغلغلت الروح الشعرية الصهيونية فى الطقوس الدينية الألمانية خلال القرن الثامن عشر، وكانت فكرة إعادة اليهود إلى فلسطين هى الفكرة المهيمنة فى معظم ترانيم الحركة التقوية البروتستانتية الجديدة؛ إذ إن معظم هذه الترانيم تصور التاريخ اليهودى فى أبهى مراحله، بل إن النص الألمانى كان يتضمن فى أحيان كثيرة كلمات عبرية(٧).

يلمس المرء فى كتابات فلاسفة وعلماء القرنين السابع عشر والثامن عشر البارزين، مثل چون لوك، وإسحق نيوتن، وچوهان چوتفريد هردر، وكانط، مناصرة أوروبية لقضية عودة اليهود إلى فلسطين، فقد جاء فى «تعليقات على رسائل القديس بولس» الذى كتبه چون لوك واضع النظرية السياسية الليبرالية:

«إن الله قادر على جمع اليهود فى كيان واحد. وجعلهم فى وضع مزدهر فى وطنهم».

وإن صورةَ القرن الثامن عشر باعتباره العصر الكلاسيكى للعقل الذى ازدهرت فيه الاكتشافات العلمية للقوانين الطبيعية التى تتحدى الكتاب المقدس لَتَتَعَارضُ مع كثير من اهتمامات العلماء/ الفلاسفة بالتعاليم المتعلقة بالأخرويات. لقد حاول هؤلاء أن يوجدوا تفسيرات علمية خاصة لعودة اليهود إلى فلسطين، وتوصل إسحق نيوتن فى كتابه «ملاحظات حول نبوءات دانيال ورؤيا القديس يوحنا» الذى نشر بعد خمس سنوات من وفاته إلى أن «اليهود سيعودون إلى وطنهم، لا أدرى كيف سيتم ذلك، ولنترك الزمن يفسره». وذهب إلى أبعد من ذلك حين حاول أن يضع جدولاً زمنيًا للأحداث التى تفضى إلى العودة وتوقع تدخل قوة أرضية من أجل إعادة اليهود المشتتين.

وبعد جيل من ذلك التاريخ، أخضع الطبيب والفيلسوف المعروف داڤيد هارتلى قضية عودة اليهود إلى دراسة منظمة فى كتابه العلمى العام «ملاحظات حول الإنسان وواجباته وتوقعاته» عام (١٧٤٩م) وصنف اليهود ضمن «الهيئات السياسية» باعتبارهم يشكلون كيانًا سياسيًا موحدًا له مصير قومى مشترك رغم تشتتهم الحالى. وأضاف إلى الحجج النبوئية، تفسيراته التاريخية والاجتماعية والنفسية الخاصة عن الشعب اليهودى الذى يعتبر كائنًا حيًا يرتبط أفراده معًا باللغة المشتركة والروابط التاريخية[٨].

وكان چوزيف پرستلى، الكيميائى الذى اكتشف الأكسجين شديد الإيمان برسالة الشعب اليهودى للمسيحية، فقد استمر پرستلى، كقس پروتستانتى موحد، على قناعة بأن اليهودية والمسيحية تكمل كل منهما الأخرى، ومن ثم فإن التحول للمسيحية أمر

يسير . ولذلك فقد كانت دعوته لليهود للاعتراف بأن عيسى هو المسيح تقترن بدعائه «بأن يضع إله السماء، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب الذى نعبده نحن المسيحيين كما تعبدونه أنتم حدًا لمعاناتكم، وأن يجمعكم ويعيد توطينكم فى وطنكم أرض كنعان، ويجعلكم أكثر أمم الأرض شهرة»(٩) .

وسارت فلسطين واليهود جنبًا إلى جنب فى الأفكار الصهيونية، وقد تصور پرستلى فلسطين أرضًا غير مأهولة بالسكان، أهملها مغتصبوها الأتراك، ولكنها مشتاقة ومستعدة لاستقبال اليهود العائدين(١٠) .

وتظهر دولة إسرائيل المستقبلة فى كتابات چان چاك روسو، وبليز باسكال فيلسوف الصوفية الكاثوليكية الفرنسية فى القرن السابع عشر، فقد جاء فى كتاب روسو عن التعليم «إميل» عام ١٧٦٢م :

« لن نعرف الدوافع الداخلية لليهود أبدًا حتى تكون لهم دولتهم الحرة ومدارسهم وجامعاتهم»(١١) .

وكتب باسكال كتابه «Renses Sur La Religion» لإقناع منكرى وجود الله، واستشهد بأن بقاء اليهود ٤٠٠٠ سنة سبب كاف للإقناع بأن الله موجود، كما أن باسكال الذى كان ضليعًا فى الأدب اليهودى الدينى والفلسفى ـ التلمود والميدراش وكتابات موسى ميمون ـ كان يفكر فى دور الشعب اليهودى ويرى أن إسرائيل هى البشير الرمزى للمسيح المنتظر، وعبر عن احترامه الشديد لإنجازات اليهود «الأمة الأولى» وتمسكهم الصادق بدينهم(١٢)، وقد وجه له ڤولتير نقدًا عنيفًا فى القرن الثامن عشر لتقديسه التاريخ اليهودى واعتباره الشعب اليهودى أقدم شعب عرفه الإنسان .

وتعتبر الفلسفة الألمانية مسئولة عن إيجاد الإطار النظرى الذى كان أساس لاسامية القرن العشرين . ومع ذلك، فقد كانت تتميز بميولها الصهيونية، رغم أن عودة اليهود لم تكن داخلة فى هيكل النظام الفلسفى نفسه، وقد كان للعبرية تأثيرها على چوهان چوتفرايد هارد الفيلسوف وعالم اللاهوت البروتستانتى الذى دفعه إعجابه بالعهد القديم إلى الادعاء بتفوق «النبوغ العبرى»؛ حتى إنه صنف العبريين القدامى فى كتابه

«Uom Geiste der Hebraeischen» عام (١٧٨٣م) كأمة فريدة مستقلة عن سائر الأمم، ولها روحها الخاصة المتميزة[١٣]. ومساهمته فى ظهور القومية الحديثة معروفة. وكان اليهود كالألمان وغيرهم من الشعوب، يشكلون شعبًا تمتد جذوره العميقة فى تربة الماضى البعيد[١٤]. وكان هارد يضمر فى الوقت نفسه احتقاراً لليهود المعاصرين الذين أخفقوا فى تأكيد قوميتهم وإحساسهم القومى، ولم يغلبهم الحنين لوطن الأجداد، رغم كل ظلم الواقع عليهم[١٥].

مثل الفهم لليهود واليهودية ـ كأمة عضوية متكاملة بدلاً من أن تكون ديانة وإحدى السمات المميزة لإيمانويل كانط، الذى وصف اليهود ذات مرة بأنهم «الفلسطينيون الذين يعيشون بيننا»[١٦]، ولچوهان چوتليب «فختة» الذى كان عداؤه لليهود مشوبًا بأفكار صهيونية. لم يكن لليهود فى نظره مكان فى أوروپا وعليهم أن يعودوا إلى فلسطين حيث نبتت جذورهم. ولم يكن لدى أوروپا حل لمشكلتهم إلا «باحتلال أرضهم المقدسة ثانية وإعادتهم جميعًا إليها»[١٧].

وشهد عصر المذهب العقلى كذلك ظهور نوع جديد من الأدب المتعلق بفلسطين، لا كبلد للتوراة بل كوحدة جغرافية ينبغى استكشافها علميًا. ولقد كان الرحالة العلماء يقومون برحلاتهم للشرق سعيًا وراء المعرفة والمعلومات لا من أجل السياحة الدينية، «ولم تعد تقاريرهم عن فلسطين تظهر فى المجلات العلمية وحدها»، بل فى أدب الرحلات الذى كان يزداد انتشاراً. وأخذت المعالم الجغرافية والعادات المحلية للسكان تحظى باهتمام هؤلاء الرحالة أكثر من التقاليد الدينية المحلية التى كانت تستهوى الحجاج الأوائل. لكن كثيراً من الأدب لم يرتفع عن أهواء العصر، فقد بقيت بعض القوالب التى تطورت فى هذا الأدب الجديد راسخة فى الفكر الغربى لفترات طويلة، وهى صورة «التركى الرهيب» أو «الكافر الفظ». وكان «الكفرة المتوحشون، بحروبهم المتواصلة وتدميرهم... هم الذين جعلوا فلسطين أرضًا قاحلة شبيهة بالصحراء... أرضًا تخلى الله عنها»[١٨]. وكان الدمار الذى أصاب أرض فلسطين، والتى كانت ذات يوم حديقة البشرية، يُعْزَى للإسلام[١٩]. وجاء فى أحد أشهر كتب الرحلات وأوسعها انتشاراً فى القرن الثامن عشر أن السكان البدو «قوم سيئون جدًا» لا يوثق بهم، كما أنهم مخربون ومتطفلون على البلاد»[٢٠].

وكان المسيحيون العرب كذلك موضع استهزاء لممارساتهم الدينية الخرافية، كتقديس بعض الأماكن والآثار، بل إن بعض المتشككين الأوائل فى الدين كانوا يرفضون دخول كنيسة المهد، ويصفون عبادة الرهبان وتقبيلهم للآثار المقدسة بأنها «تخريف غريب من الحماقات الرومية»[٢١].

أما سكان فلسطين من اليهود والشعوب الأخرى فقد كانوا يحظون بالاحترام، وكانوا يعتبرون مثاليين حتى من قبل الرحالة العقلانيين الذين لم يكونوا يهتمون بالشعب اليهودى. ولدى دراسة هذا الأدب يتبين أنه عمل عن غير قصد على استمرار تعزيز الارتباط بين اليهود وفلسطين، وهو الاتجاه الذى كان يسير فيه اللاهوتيون البروتستانت.

سفر الرؤيا وعصر الثورة

كان القرن السابع عشر هو العصر الذهبى للأدب الدينى الألفى والأفكار اللاهوتية المتعلقة بعودة اليهود. ومع أن هذا الأدب كان أقل كمّا خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، فإنه بقى ذا أثر كما كان من قبل.

ومع نهاية القرن الثامن عشر، قذفت المطابع سيلاً جديداً من الأدب الدينى الجدلى، وبخاصة ذلك الجدل العنيف الذى كان دائراً بين چوزيف پرستلى الصهيونى المسيحى، وخصمه اليهودى داڤيد ليڤى الذى كان يرفض المبادئ المسيحية المتعلقة بالعصر الألفى السعيد. وقد رد ليڤى فى كتابه «رسائل للدكتور پرستلى ردّا على رسائله لليهود» معطيّا الإجابة اليهودية عن كل الشكوك بين غير اليهود الذين كانوا يربطون بين اليهود وعودتهم إلى فلسطين. وقد رفض ليڤى حتى مجرد التفكير فى التحول للمسيحية، وأهم من ذلك، أنه هاجم عودة قومه مؤكداً أن عليهم أن يحققوا مهمة الخلاص وهم مشتتون بدلاً من العودة إلى وطن قومى لهم.

ومع أن هذه الأفكار لم تكن مألوفة بين اليهود أنفسهم، إلا أن المؤمنين الجدد بالعصر الألفى السعيد حظوا بتأييد واسع من الشعب المسيحى. . . إن المقدمات التى وضعوها وتتابع الأحداث السياسية والعسكرية أضفت على آرائهم عن الآخرة صبغة من الواقعية، وولدت بين الجماهير اعتقاداً بأن ما كان يحدث أمام أبصارهم هو تسلسل أحداث سفر الرؤيا التى وردت فى النبوءات عن آخر الزمان[٢٢].

وكانت الأحداث السياسية والعسكرية المشار إليها تتركز على الثورة الفرنسية ومضامينها بالنسبة للوضع الأوروبى الراهن. وقد أضافت حملة نابليون وغزوه لفلسطين فى ربيع عام ١٧٩٩م ضرورة أخرى ملحة.

كان يبدو أن التاريخ كان قد تكفل بتحقيق أجزاء من سفر الرؤيا، وذلك عن طريق سقوط مملكة إثر أخرى، وتعرض مؤسسات كان يعتقد بأنها غير مستقرة لضربات قاصمة. وأصبح من العسير على طلاب النبوءات ألا يجدوا إشارات لهذه الأحداث فى دانيال أو سفر الرؤيا[٢٣].

لم تعد العودة اليهودية موضوعًا للبحث الأكاديمى المجرد، بل أصبحت حالة واقعة مرتبطة بالأزمة السياسية السائدة فى أوروبا، ولم يعد الأمر بحاجة إلى برهان بالنسبة للجيل الجديد من المؤمنين بالعصر الألفى السعيد؛ إذ كانت الأحداث تبشر بهذه العودة. وشيئًا فشيئًا أخذت الأفكار السياسية تتسرب إلى العقيدة التى كانت حتى الآن دينية بحتة، وأصبح للقوى الأرضية دور عليها أن تقوم به، ولم تعد التوبة وتحول اليهود للمسيحية، وهما أمران كانا يحظيان بأهمية فائقة، شرطًا لازمًا للعودة اليهودية إلى فلسطين.

وفى عام ١٧٩٠م، كرر ريتشارد پير أسقف ساند بروك الاسترحام الذى قدمه كارترايت عام ١٦٤٩م حين طلب من رئيس الوزراء الإنجليزى ويليام پت أن يساعد على تحقيق «عودة اليهود نهائيًا للأرض المقدسة»[٢٤] وادعى أن إنجلترا وأسطولها التجارى سيستفيدان سياسيًا واقتصاديًا:

> **ستكون هذه الجزيرة (إنجلترا) فى طليعة الدول التى ستنقلكم (اليهود) إلى وطنكم. . ومن المناسب جدًا لحكومتنا أن تقدم مساعدتها لتحقيق هذا الهدف المنشود انطلاقًا من دوافع السياسة الحكيمة. وعندما يجتمع إخواننا العبريون معًا، ويقيمون فى وطنهم من جديد، فسيكونون بحاجة إلى كثير من السلع المصنعة ومستلزمات الحياة. وبخاصة الأصواف والكتان، وسيبقون لسنوات كثيرة فى حاجة إلى شراء هذ الحاجيات من الأمم الأخرى[٢٥].**

وفى عام ١٨٠٠م، نشر چيمس بشينو، وهو أحد زملاء پير المؤمنين بالعصر الألفى، كتابه «عودة اليهود. . أزمة جميع الأمم» الذى اعتبر فيه عودة اليهود، كما يدل عنوان كتابه، قضية دولية، وكانت العودة تبعًا لحساباته متوقعة «فى هذه الأيام» وغير مرتبطة أبدًا بتحول اليهود للمسيحية(٢٦). وكان ما أزعج بشينو حملة ناپليون للشرق، واحتمال أن يكون لفرنسا الملحدة «موطئ» قدم فى فلسطين. وقد دفعت الشائعات القائلة: «إن ناپليون كان على وشك إحياء دولة يهودية فى فلسطين» بشينو إلى شن هجوم عنيف على تحالف الحكومة البريطانية مع تركيا ضد فرنسا التى كان يبدو أنها تتصرف وكأنها يد الله، وإن كان ذلك بشكل لا شعورى. وكانت بريطانيا بتحالفها مع تركيا قد بسطت يدها للكفار الذين يحولون دون عودة اليهود إلى أرضهم، وعلى ذلك فحكومتها مسئولة بشكل مباشر عن الحيلولة دون تخليص البشرية كلها. ومع أن بشينو روض نفسه أخيرًا على التحالف البريطانى التركى، لكنه قدم الاقتراح التالى:

> **أن يقوم حكام هذا البلاد باستخدام نفوذهم لدى الباب العالى للتخلى عن هذا الجزء من الأرض الذى طرد منه اليهود، وإعادته إلى أصحابه الشرعيين. وبهذا فإنهم يحولون دون النتائج المحتملة التى لو حدثت فإنها ستكون ضربة قاتلة لحكوماتنا وتجارتنا، فى الوقت الذى يؤدون فيه أنبل عمل ممكن**(٢٧).

وقد جعل طلبه هذا قضية العودة اليهودية أمرًا مقبولاً من حيث القضايا الاقتصادية والأحداث الجارية، وحذر من احتمال سيطرة فرنسا على البحر الأبيض المتوسط بمجمله، وما يتضمنه ذلك من تهديد للتجارة البريطانية مع الشرق الأقصى. وهكذا برزت أهمية فلسطين السياسية والاقتصادية لبريطانيا بكل وضوح وشمول، وكان ذلك كافيًا لضمان قيام بريطانيا باتخاذ عمل ما من أجل عودة اليهود إلى فلسطين.

التدخل البشرى: كتابية وصهيونية القرن التاسع عشر

شهدت إنجلترا مع بداية القرن التاسع عشر نهضة تبشيرية مشابهة فى مبادئها ومعتقداتها لتلك التى كانت سائدة فى عهد الپيوريتانية فى القرن السابع عشر. ويصف

كريستوفر سايكس هذه النهضة بأنها «الوثبة الثانية للنبوغ البيوريتانى» وتصف بربارة تخمان هذه «الفترة العبرية الفاصلة» فى التاريخ الإنجليزى بقولها :

> **بعد الفترة الهيلينية فى القرن الثامن عشر ، عاد البندول ثانية لفترة عبرية أخرى ؛ إذ حلت حركة التَّقوية الڤيكتورية محل مذهب الشك الذى كان سائدًا فى القرن الثامن عشر ، كما حلت حركة سفر الرؤيا محل المذهب العقلى**(٢٨).

وأحدثت الثورة الفرنسية صدمة عميقة للكنيسة الإنجليزية الرسمية التى اعتبرت هذه الثورة نتيجة طبيعية للمذهب العقلى ، كما أحيت العودة للكتاب المقدس وأسفاره فكرة عودة العصر الألفى السعيد ومعه الصهيونية غير اليهودية . لم يعد هناك مكان لقانون الإيمان المسيحى القديم الذى كان يدافع عنه رجال الدين والمنشقون . لقد نضجت الصهيونية غير اليهودية وتطورت خلال القرون الثلاثة الماضية إلى «نمط جديد له اهتمامات دينية وسياسية بالموضوع الذى كان يهم بجملة الأشخاص العاديين»(٢٩) .

امتدت الفترة الكتابية الجديدة حتى نهاية عهد الملكة ڤيكتوريا (١٨٣٧ ـ ١٩٠٠م) تقريبًا ، وكان إدوارد بكرستث ، ولويس وى ـ وهما من أعضاء جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود ، والتى أنشئت عام ١٨٠٧م ـ مثلين بارزين لقائمة طويلة من المسيحيين الڤيكتوريين الداعين إلى العودة اليهودية ، سواء أكان ذلك لاعتبارات مسيحية أم عملية . لكن أبرز الأعضاء الكتابيين وأكثرهم نفوذًا هو اللورد أنتونى إشلى كوبر ، وإيرل شافتسبرى السابع (١٨٠١ ـ ١٨٨٥م) «مبشر المبشرين» الذى يعتبر شخصية رئيسة فى الصهيونية غير اليهودية .

اللورد شافتسبرى

كان اللورد شافتسبرى ، شأنه شأن الكثيرين ممن سبقوه ، يتصور قيام دولة يهودية فى فلسطين ، وقد بنى صهيونيته على نبوءات توراتية تلقاها من صديقه إدوارد بكر ستث ، وبررها بالرجوع إلى الحقائق السياسية فى إنجلترا الڤيكتورية . وكان شافتسبرى

ككرومويل مهتمّا باليهود كشعب، ولكن تركيزه كان منصبّا على إعادة هذا الشعب لفلسطين، وكان يختلف عن كرومويل فى أنه لم يناد بالخلاص المدنى أو السياسى لليهود فى إنجلترا محتجًا بأن السماح لهم بدخول البرلمان دون أداء القسم «على الإيمان الصادق بالمسيحية» يعتبر خرقًا للمبادئ الدينية. وحين أقر البرلمان «قانون الخلاص» عام ١٨٦١م لم يكن المبشرون الكتابيون المعروفون بحبهم «لشعب الله القديم» هم الذين أيدوا إعطاء اليهود حق المواطنة الكامل، بل الليبراليون الذين كانوا أقل منهم تقى بكثير.

وفى عام ١٨٣٩م، نشرت صحيفة «كوارترلى ريفيو» المعروفة مقال شافتسبرى المكون من ٣٠ صفحة عن «دولة وآمال اليهود»، الذى لخص فيه فكرته عن العودة اليهودية. [٣٠] وكان قيام إحدى أكثر المجلات نفوذًا بنشر مقال يؤيد عودة اليهود دليلاً آنذاك على التأييد الذى لم يعد مقتصراً على مجموعات دينية معينة، بل تعداها إلى الاعتراف الشعبى العام. وفى هذا المقال، عبر شافتسبرى عن اهتمامه «بالجنس العبرى» وعارض بشدة فكرة الخلاص والدمج بحجة أن اليهود سيبقون غرباء فى كل مكان إلا فى فلسطين.

وكان انشغال شافتسبرى المستمر بعودة اليهود إلى فلسطين كشعب هو الذى جعله النصير الرئيسى لمثل هذه الخطة قبل أن تنتشر فى أوساط المؤسسة البريطانية الاستعمارية والسياسية. وكان أشد اقتناعًا من البيوريتانيين الذين سبقوه بأن الوسيلة البشرية قد تحقق أهدافًا سماوية ـ وهو المبدأ الذى لم يكن مقبولاً لدى غالبية اليهود آنذاك ـ وجعل شافتسبرى أكبر همه إقناع قرنائه الإنجليز بأن اليهود «ليسوا أهلاً للخلاص فحسب، ولكنهم عنصر حيوى فى أمل المسيحية بالخلاص بالرغم من أنهم متعجرفون، سود القلوب ومنغمسون فى الانحطاط الخلقى والعناد والجهل بالإنجيل»[٣١].

وكانت فلسطين فى مخيلة شافتسبرى بلدًا مهجوراً، وهو واضع الشعار «وطن بدون شعب لشعب بدون وطن» الذى حوله الصهيونيون فيما بعد إلى «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»[٣٢]. وعندما عين صديقه «يونج» نائبًا للقنصل فى القدس كتب فى مذكراته:

يا له من حدث رائع! إن مدينة شعب الله القديمة توشك أن تستعيد مكانتها بين الأمم، وإنجلترا هى أول الممالك المسيحية التى لم تعد تدوسها بالأقدام(٣٣).

ومع أن شافتسبرى كان أبرز الكتابيين الذين اهتموا بقضية العودة اليهودية فى القرن التاسع عشر، فإن كثيرين من ذوى المكانة والنفوذ عملوا جادين لتحقيق هذا الهدف، فقد كان هناك نبلاء بريطانيين، على رأسهم «دوق كنت» وكثير من أعضاء مجلس اللوردات من أمثال أيرل كروفورد، ولندس أيرل جرد، وسفنر، ولورد جراى، ولورد بكسلى، كما كان هناك الأسقف مانِنج وجلادستون من البرلمان(٣٤). ولم يكن كتابيو القرن التاسع عشر مجموعة هامشية، بل كان موقفهم مثيراً للجدل فى النصف الأول من العهد الڤيكتورى، وهو الوقت الذى كان فيه حتى المناوئون للدين، متدينين:

إننا نرى اللورد شافتسبرى يناصر عودة إسرائيل بنفس العبارات التى كان يستعملها آل كارترايت والپيوريتانيون المتطرفون، وكان ذلك لازمة حتمية للعودة العبرية. ولم يكن هذا نتيجة؛ لأن للعبرية علاقة بإحساس آرنولد ماتيو باليهود الحديثين؛ ولكن لأنها روح الشعب الموروثة من العهد القديم. . وعندما كان المسيحيون يرجعون لنص العهد القديم كانوا يرون أنه يتنبأ بعودة أهله إلى القدس وأنهم ملزمون بتحقيق هذه النبوءة(٣٥).

كان الوقت أكثر الأوقات ملاءمة، من ناحية سياسية للورد شافتسبرى وزملائه المتدينين لتشجيع الاستيطان اليهودى فى فلسطين، فقد تضافرت خلال القرن التاسع عشر ثلاثة عوامل على اهتمام بريطانيا بفلسطين، وهى: ميزان القوى الأوروبى، وتأمين الهند المهددة من قبل فرنسا وروسيا، وطريق العبور الآمن للهند عبر سوريا. ومنذ ذلك الحين، بدأ ما وصفه داڤيد بولك بـ «الاتحاد العجيب بين سياسة الإمبراطورية ونوع من الصهيونية المسيحية الأبوية» التى تتجلى فى السياسة البريطانية فيما بعد(٣٦).

العنصرية الرومانسية

فى الوقت الذى كانت فيه حركة «التبشير الكتابى» تجتاح إنجلترا فى بداية القرن التاسع عشر، كانت أوروبا غارقة فى الرومانسية؛ حيث حل تمجيد الغرائز والعواطف محل حركة التنوير العقلى وتبجيل الفكر والعقل. وقد ابتهج الكثيرون ممن كانت تضايقهم هجمات الربانيين والمتشككين بفلسفة تعترف بفصائل الإيمان وتمجد عالم الروح. وقد بسطت المثالية الرومانسية نفوذها على كثير من الاتجاهات، وكانت تتضمن احترامًا عميقًا للطبيعة والتقاليد والدين بالإضافة إلى الفكرة الرومانسية عن الشعب، وهى فكرة مبهمة فى اللغة الإنجليزية، ويحتاج التعبير عنها إلى ثلاث كلمات هى الشعب والأمة والجنس. وحلت فكرة «الشعب» الأكثر مرونة[٣٧]، وما يقترن بها من مبادئ رومانسية، محل فكرة «المواطنة» الشرعية والعقلية التى كانت سائدة فى القرن الثامن عشر.

أثرت مثل هذه الأفكار التى تفاعلت مع المد المتصاعد للقومية فى المسألة اليهودية، وقد ولد التركيز الرومانسى على الإيمان والتقاليد إعجابًا جديدًا بالشعب والجنس اليهودى، ولكنه كان قائمًا على مفاهيم عَلمانية بدلاً من المفاهيم الدينية. وطرح موضوع العرق على أنه خلاصة ومصدر القيم والوجود الإنسانى، وترعرعت قناعة شديدة، بين كثير من غير اليهود، أن اليهود شعب متفوق يعيش حاليًا بين الشعوب الأخرى، ولا بد من إعادته إلى وطنه القديم فى فلسطين، حيث نمت جذوره وتقاليده وخواصه المتميزة، ونبذت فكرة أن القوة السماوية هى الوسيلة لإعادتهم إلى فلسطين، لتحل محلها فكرة النشاط والإنجاز البشرى وبخاصة جهود اليهود وغير اليهود المشتركة.

ولقد وجدت الصهيونية الرومانسية تعبيرًا لها فى أدب القرن الثامن عشر وكتاباته السياسية، فلم تعد الشخصيات اليهودية بارزة فحسب، بل إنها كانت تعامل بأشد الاحترام، ولا تقدم هذه الشخصيات كأفراد بل كأعضاء فى أمة تحظى بالشفقة أحيانًا بسبب ما تقاسيه من ويلات، وتنال فى الغالب الإعجاب بسبب طاقتها الهائلة على الاحتمال والبقاء. وكان اليهود يَلْقَوْنَ دائمًا التشجيع للعودة إلى كيانهم القومى الأصلى فى فلسطين.

اللورد بايرون

عبر اللورد بايرون ـ وهو أحد أعضاء مذهب الفعّالية اللامعين، والشاعر الذى لقى حتفه وهو يحارب فى اليونان من أجل استقلالها ـ عن إعجابه بالعظمة الكامنة فى قدرة الشعب اليهودى. وتتناول كثير من قصائده، فى مجموعته الشعرية «الألحان العبرية» عام ١٨١٥م، الأفكار التوراتية والفلسطينيين، وقد جعل خاتمة أشهر قصائد هذه المجموعة، وهى بعنوان «ابك من أجل هؤلاء» المقطع التالى:

أيتها القبيلة الكثيرة التجوال وذات الصدر المرهق

كيف ستستقرين وتشعرين بالراحة؟

إن لليمامة عشها، وللثعلب وكره

وللبشرية وطنها ـ أما إسرائيل فليس لها إلا القبر

ويبرز شعر بايرون عطفه على إسرائيل وإعجابه بمصيرها كشعب لا وطن له، ويعتبر ذلك شذوذًا تاريخيًا. ويركز بايرون فى قصائد أخرى على الرابطة «الأبدية» بين فلسطين واليهود. وقد سافر الشاعر نفسه إلى فلسطين عام ١٨١١م وعبر عن صدمته بما شاهده من بؤس وقفر فى الأرض المقدسة. وتدعو قصيدتاه ـ «الغزال البرى» و«يوم أن هدم تيتوس المعبد» ـ اليهود للعودة وتحرير الأرض.

والتر سكوت

أوجد السير والتر سكوت، وهو أول الروائيين الكبار فى القرن التاسع عشر، فى روايته «آيفانهو» شخصية يهودية ذات ميول صهيونية وهى شخصية ربيكا.

إنها شخصية مثالية للمرأة اليهودية. وهى مخلصة فى الدفاع عن قومها ودينها وشرفها، كما أنها تعبر بوضوح عن أحاسيس قومها. وتعطى الدليل على أن سكوت كان متعاطفًا مع وضع اليهود ومشاعرهم[٣٨].

وسكوت فى تصويره لربيكا لا يرثى لمصيبة الشعب اليهودى فحسب، ولكنه يدعوهم للعمل؛ لأن «صوت البوق لم يعد يوقظ يهوذا».

ويليام ورد زورث

عزف ويليام ورد زورث على وتر مشابه لـ (بايرون) فى قصيدتيه «أغنية لليهودى المتجول» و«أسرة يهودية». ويرد المقطع التالى فى القصيدة الثانية:

أختان جميلتان هادئتان وحلوتان

تقفان جنبًا إلى جنب كزهرتين

إن نظراتهما التى تأسر الروح

تسلب المسيحى كبرياءه

إن هذا الجمال الذى منحتهما إياه الأبدية

لم يمح عنهما.

على الرغم من أنهما من ذرية كانت ممقوتة بشدة

ولم تتخلص من الاحتقار.

إن حرسًا خفيًا يبقى ضوءًا حيًا عليهما

رغم الفقر والإساءة

وهو نابع من الينابيع العبرية

إنه يعطى هذه المجموعة المشتتة

ضوءًا حول الوادى الصغير

فى فلسطين، وهو من مجد الماضى

والقدس العزيزة

روبرت براوننج

كان روبرت براوننج، وجورج إليوت من الكتاب الإنجليز الذين تبنوا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قضية عودة اليهود إلى فلسطين. وتبدو الأفكار اليهودية

obeikandl.com

فى كتابات براونـنج أكثر مما تبدو فى أى شعر سابق له. كان الشاعر ضليعًا فى الأدب اليهودى، وقد ساعدته معرفته بالعبرية على قراءة العهد القديم. وكان اليهود فى نظره مثالاً للتواصل، وسيتجلى مستقبلهم القومى فى فلسطين، وقد جاء فى قصيدته «يوم الصليب المقدس» عام ١٨٥٥م:

سيرحم الله يعقوب

وسيرى إسرائيل فى حماه

عندما ترى يهوذا القدس

سينضم لهم الغرباء

وسيتشبث المسيحيون ببيت يعقوب

هكذا قال النبى وهذا يعتقد الأنبياء

هذه الأبيات هى التى جعلت من براونـنج شاعرًا شعبيًا يدعو للعودة اليهودية فى إنجلترا الڤيكتورية.

چورچ إليوت

بدأت چورچ إليوت عام ١٨٧٤م تكتب «دانيال ديروندا» أول رواية صهيونية فى تاريخ الأدب القصصى غير اليهودى، وفيها تتخلى إليوت عن نظريات المزج أو الصلة الروحية بين المسيحية واليهودية. ليس بطل الرواية «دانيال ديروندا» بطلاً يهوديًا وطنيًا منتصرًا يكتشف إرثه بتأثير غير اليهود، كما أنه ليس هناك توسلات لإنجلترا الأنجليكانية لأن تحذو حذو قورش فتساعد على عودة اليهود إلى فلسطين. ومع أنها لم تعترف بأثر شافتسبرى والكتابية عليها إلا أن ذلك يجب أن يؤخذ بالاعتبار. لقد جعلت الكاتبة المسيحية من دانيال بطلاً صهيونيًا حقيقيًا يكتشف بنفسه قوميته وإرثه اليهودى.

وتمثل الرواية ذروة الصهيونية غير اليهودية فى مجال الأدب وتتويجًا للمبادئ التى ابتدأت بالفكرة الپروتستانية عن البعث اليهودى التى كانت تتطلب أن يعتنق اليهود

المسيحية كخطوة أولى نحو عودتهم إلى فلسطين. ثم سمح بأن يكون التحول بعد العودة. ومع مجيء القرن التاسع عشر لم يعد ذلك التحول شرطًا ضروريّا، وأصبحت العودة تعنى عودة الإرث العبرى. وبتأكيد الثورة الرومانسية على العرق والتقاليد والدين ظهرت فكرة أن الخطيئة العظمى كانت ارتداد اليهود عن اليهودية، وأصبح التسليم بالقيم اليهودية هو الطريق الوحيد للخلاص.

كانت تتوفر لإليوت الخلفية الضرورية لكتابة رواية صهيونية. فهى مسيحية عميقة التدين عاشت فى مطلع عمرها حياة پيوريتانية ثم عاصرت مد الحركة الأنجليكانية. وكان من الطبيعى أن تصبح إليوت الأنجليكانية الورعة متآلفة مع اليهودية التوراتية وما بعدها. وكانت تحضر الاجتماعات اليهودية فى المعبد، وشيئًا فشيئًا بدأ حبها للديانة اليهودية نفسها يشتد، كما التقت بموسى هس الصهيونى اليهودى الذى كان قد ألف كتابه الشهير «روما والقدس» بالألمانية عام ١٨٦٢م.

ومن المحتمل أن يكون تفسير إليوت لفكرة العودة هو تفسير هس الصهيونى نفسه للقضية اليهودية القومية، حتى وإن لم تكن تعرف ذلك. وفى روايتى «رومولاك» عام ١٨٦٣م و«النورى الإسپانى» عام ١٨٦٨م، ترى إليوت أن أهم واجب مقدس هو أن يقبل الإنسان بأصله. وكانت فكرتها الرومانسية عن الطبيعة بالإضافة إلى ميولها الپروتستانتية المحافظة التى جعلتها تفكر فى الماضى على أنه الأمر المثالى للحياة البشرية. وتظهر رواية «دانيال ديروندا» أن من الممكن أن يكون هناك أنبياء وزعماء يهود معاصرون كما كان الحال فى الأيام الخالية، وأن إرث اليهود جدير بأن يعاد اكتشافه، ويقبل كطريقة للإحياء القومى والخلاص النهائى. وكانت إليوت تؤمن أن يهود أوروپا فى القرن التاسع عشر كانوا يتخلون عن تراثهم القومى الفريد بمحاولاتهم الذوبان والاندماج فى الأمم الأخرى[٣٩].

كانت رواية «دانيال ديروندا» هى «المقدمة الأدبية» لوعد بلفور الذى جعل إقامة دولة يهودية فى فلسطين ضرورة تاريخية، والرؤيا التى عبرت عنها شخصية مردخاى اليهودى الصوفى هى عودة اليهود إلى فلسطين واستعادة الأرض، كوطن للشعب اليهودى:

إن شعبنا المشتت فى كل أنحاء الأرض، وهو يتطلع للأرض والدولة، قد يشارك فى سمو حياة قومية لها صوت بين شعوب الشرق والغرب ـ قومية ستغرس حكمة وموهبة جنسنا لكى تكون وسيلة للتفاهم كما كانت فى الماضى. . . . إن لدينا رصيداً من الحكمة يقيم دولة يهودية عظيمة وبسيطة وعادلة كتلك التى كانت فى الماضى، جمهورية تتوافر فيها مساواة فى الحماية. وهى المساواة التى سطعت كنجم على جبين مجتمعنا القديم وجعلته أكثر إشراقًا من حرية الغرب وسط طغيان الشرق. عندها سيكون لجنسنا مركز عضوى وقلب وعقل يراقب ويهدى وينفذ، وسيجد اليهودى المظلوم من يدافع عنه فى محكمة الأمم كالإنجليزى أو الأمريكى المظلوم، وسيحقق العالم كما ستحقق إسرائيل المكاسب(٤٠).

وجاء فى رواية إليوت «هب هب هب الحديثة» عام ١٨٧٩م:

إذا أردنا أن نفكر فى مستقبل إسرائيل فمن المنطقى أن نتناول سؤالاً أساسيًا: هل كتب عليهم أن يذوبوا تمامًا فى الشعوب التى تشتتوا بينها، وأن يفقدوا كل أثر للإحساس المتميز كيهود؟ أم أن هناك فى علاقات العالم السياسية الشروط الحالية أو المستقبلة لإعادة الدولة اليهودية المغروسة فى المركز القديم للوعى الوطنى، والتى تكون مصدراً للحماية وقناة خاصة لطاقات خاصة يمكن أن تساهم فى إضافة شىء للنبوغ الوطنى وأن تكون صوتًا مسموعًا فى المجالس العالمية؟ إن إمكانية حدوث ذلك تتوقف على وجود إحساس مشترك كاف، وحاجة للجنس اليهودى، وأمل فى أن يظهر من بينهم أشخاص من ذوى العلم الذين يتمتعون بروح متوقدة، أو أن يظهر أشخاص مثل «عزرا، ومكابيون جدد» يعرفون كيف يستغلون الظروف الخارجية المشجعة وينتصرون ببطولاتهم على روح اللامبالاة السائدة بين رفاقهم وأعدائهم، ويجعلون هدفهم أن يحتل شعبهم مكانة بين شعوب العالم.

❊ ❊ ❊

هــوامش الفصل الثانى

(١) Barbara Tuchmann, Bible and Sword (London, 1956), pp. 4 - 93.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٥ .

(٣) Franz Kobler, The Vision was There (London, 1956). p.35.

(٤) Edward N. Calisch, The Jew in English Literature as Subject (Port Washington, 1969) p. 93.

(٥) John Milton, Paradise Regained (London, 1936).

(٦) ويليام بليك، القدس (مجموعة شعرية).

(٧) Siegfried Riemer, Philosemitismus im Deutschen Evangelischen kirchenlied des Barock (Stuttgart, 1963) p.72.

(٨) كوبلر، المصدر السابق، ص ٣٩ـ ٤٠ .

(٩) كما ورد فى المصدر السابق لكوبلر، ص ٤١ ـ ٤٢ .

(١٠) Joseph Priestley, A Comparison of the Institutions of Moses with those of the Indus and other Ancient Nations, 1799.

(١١) چان چاك روسو، إميل (لندن، ١٩٥٧م)، الكتاب الرابع، ص ٢٦٨ .

(١٢) K. H. Rengstorf and S. Kortzfleisch (eds), Kirche und Synagoge (Stuttgart, 1967), p. 134.

(١٣) J. G. Herder, aemtlich werke (Berlin, 1852). Vol.1,pp 211 ff.

(١٤) G. Kaiser, Pietismus and Patriotismus im Literarischen Deutschland (Wiesbaden, 1961), pp. 8 - 146.

(١٥) كما فى ص١٥٢ من المصدر السابق لـ Rengstorf and Kortzfleisch,

(١٦) Immanuel Kant, Werke in 6 Baenden (Darmstadt, 1956), Vol. VIp. 517.

(١٧) J.G. Fichte, Saemtliche Werke (Berlin, 1846), vol, VI, pp - 50 - 149 see also A. Lewkowitz, Das Judentum und die geistigen Stroemungen des 19 Jahrhunderts (Breslau, 1935). p. 56

(١٨) Robert Burton, Memorable Remarks Upon the Ancient and Modern State of the Jewish Nation' in Nathaniel Crouch (ed) Two Journeys to Jerusalem (London 1704).

(١٩) فى بداية القرن السابع عشر صور فرانسيس بيكون الأتراك بأنهم «قوم بلا أخلاق، أو أدب، أو فن، أو علوم . . . عار على المجتمع الإنسانى . . . لقد حولوا جنة الدنيا إلى أرض قفر» .

obeikandl.com

انظر Bacon's, Holy War, Works (London, 1874) vol. 2. p477

(٢٠) Richard Pococke. Descriptions of the East. 2 vols. (London, 1743/45.

كما ورد فى كتاب تخمان السابق ص ١٠١ .

(٢١) المصدر السابق، ص ٧٥.

(٢٢) Mayir Verete. The Rostoration of the Jews in English Protestant Thought. 1790 - 1840. Middle Eastern Studies, Vol. 8,No. 1, p.5.

(٢٣) كوبلر، المصدر السابق، ص ٤٣ .

(٢٤) المصدر السابق، ص ٤٣ .

(٢٥) ريتشارد بير، رسالة تتضمن حججًا قوية ومقنعة لإثبات أن بداية عودة اليهود للأرض المقدسة ستتم فى العام القادم عام ١٧٩١م، وهو ما ورد فى ص ١١ من المصدر السابق لـ (Verete).

(٢٦) James Bicheno, The Restoration of the Jews - The Crisis of all Nations. cited in Verete, op. cit.

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) تخمان، المصدر السابق، ص١١٥ .

(٢٩) Christopher Sykes, Two Studies in Virtue (London. 1953). p 151.

(٣٠) Earl of Shaftesbury, State and Prospects of the Jews, Quarterly Review. London, January/ March 1839.

(٣١) W.T. Gidney, The History of the London Society for the Propagation of Christianity among the Jews (London, Centennial Issue, 1908). Lord Shaftesbury served as President of this organization in 1848.

(٣٢) Albert H. Hyamson, Palestine under the Mandate (London 1950). p.10.

(٣٣) Edwin Hodder, The Life and Work of the Seventh Earl of Shaftesbury (London, 1886), Vol. 1.

(٣٤) Mel Scult, English Missions to the Jews- Conversion in the Age of Emanci Pation, Jewish Social Studies, Vol. 35. No.1. January 1973. pp. 5 - 7.

(٣٥) تخمان، المصدر السابق، ص ١١٥-١١٦ .

(٣٦) David, Polk, Backdrop to Tragedy (Boston, 1957). p. 40.

(٣٧) Hans Kohn, Nationalism (New York, 1960). p. 30.

(٣٨) Calisch، المصدر السابق، ص ١٢٥ .

(٣٩) علينا أن نذكر أن القرن التاسع عشر يعتبر العصر الذهبى للخلاص اليهودى على جميع المستويات : الفكرية والروحية، وفى الوقت الذى كان فيه معظم اليهود منهمكين فى النضال

من أجل الخلاص الوطنى والسياسى، كانت الآمال اليهودية معلقة على تحقيق المساواة الكاملة كحل أساسى لكل جوانب ما يسمى بالمسألة اليهودية. ونتيجة لذلك كان معظم اليهود ينظرون بسخط كبير للصهيونيين المسيحيين الذين كانوا ينكرون عليهم وضعهم المشروع. انظر:

Norman Bentwich and John Shaftesley, Forerunners of Zionism in the Victorian Era.

المصدر السابق، ص ١٠.

(٤٠) كل الاقتباسات مأخوذة من كتاب چورج إليوت «دانيال ديروندا»، (لندن، ١٨٩٩م)، أعمال چورج إليوت، مجلد ٨.

* * *

obeikandl.com